دين الله الإسلام من آدم إلى قيام الساعة

بقلم

على فتحي العوضي حوافي

المعيد بقسم التفسير

قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية سورة الأعراف آية ١٧٢ .

يخبر الله تبارك وتعالى فى هذه الآية الكريمة أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أى شهد كل واحد من أولئك الذريات المأخوذين من ظهور أباتهم على نفسها لا على غيرها أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه .

قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)(١) .

وقال رسول الله ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه كما تولد البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)(٢).

وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال:(يقول الله إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم) .

وعن أبى ابن كعب فى قوله تعالى(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

---

(١) سورة الروم آية رقم ٣٠

(٢) رواه البخارى ومسلم

ذريتهم) الآية قال : فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم فى صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم قالوا بلى) الآية قال فإنى أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئاً فإنى سأرسل إليكم رسلا ليذكروكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك ولا إله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يارب لو سويت بين عبادك ؟ فقال أنى أحببت أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة .

قال تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا)(١) .

من هذه الآيات والأحاديث نرى أن الله سبحانه وتعالى فطر كل الخلق على دين واحد ألا وهو الإسلام الذى إرتضاه لعباده ديناً من آدم عليه السلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السماوات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون)(٢) .

من هنا ندرك أن الله سبحانه وتعالى عندما قال إنى جاعل فى الأرض خليفة كانت دعوة الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام واحدة وهى عبادة الله الواحد الأحد المهيمن المسيطر على هذا الكون الفسيح

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧
(٢) سورة آل عمران آية ٨٣

المترامى الأطراف وما فيه من دلائل قدرته وعجائب صنعه لهذا فهو وحده المستحق للعبادة والطاعة والانقياد والخشوع والخضوع والتذلل والسجود إذن كانت دعوة الأنبياء واحدة كل نبي يدعوا قومه بقوله (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره و كيف يكون هناك إختلاف بين الرسالات والديانات والله سبحانه وتعالى هـــو الذى أرسل جميع رسله :

قال تعالى :(شرع لكم من الدين ما وحى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وحينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الآية(١) .

فذكر سبحانه أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو ونوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر بين ذلك من أولى العزم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام والدين الذى جاءت به الرسل كلهم عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الانوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(٢) .

وفى الحديث نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن إختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) أوحى

---

(١) سورة الشورى آيه ١٣

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٥

الله تعالى إلى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف قال تعالى : (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)(١) . أى إنما كان مخالفة الأمم بعد ذهاب الرسل للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشقة .

وهنا يظهر لنا أن كل رسول بلغ رسالته على أكمل وجه واضحة صريحة ولكن يد البشر تدخلت وحرفت فى كتب الله حسب أهوائها ولكن الله توعد كل محرف فقال تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويلهم مما يكسبون)(٢) .

وفى هذه الآية يبين الله أن علماء اليهود وأحبارهم استخفوا بالعوام منهم وغيروا ما أنزل الله وكتبوا ما تمليه عليهم شياطينهم وأهوائهم وأقنعوا الناس بأن هـــذا الذى يكتبونه لهم إنما هو من عند الله نظير أجر قليل فتوعدهم الله بالويل وهو واد فى جهنم جزاء ما كتبت أيديهم وويل لهم جزاء مايكسبون ؛ إذن تدخلت الأيادى الآثمة فغيرت ما أنزل الله على رسله الكرام وبالتالى إدعت اليهود إدعاءاً شنيعاً وهو أن لله ولد ولداً يسمى عزيراً وقصة عزير هذا الذى ادعوا أنه ابن الله على ما أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عزيراً كان فى أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا

---

(١) سورة الشورى آية ١٤

(٢) سورة البقرة آية ٧٩

ثم أضاعوها وعملوا بغير حق وكان التابوت عندهم فلما رأى الله سبحانه وتعالى أنهم أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء فرفع عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا عزير ربه عز وجل وإبتهل أن يرد إليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلى مبتهلا إلى الله عز وجل نزل نور من الله تعالى فدخل فى جوفه فعاد الذى كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن فى قومه فقال يا قوم قد أتانى الله تعالى التوراة وردها إلى فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله تعالى أن يمكثوا وهو يعلمهم ثم إن التابوت نزل عليهم بعد ذهابه عنهم فعرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا إلا لأنه ابن الله تعالى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وأيضاً قالت النصارى عن عيسى عليه السلام أنه إله وقالت فرقة ثانية إنه ابن الله وقالت فرقة ثالثة إنه ثالث ثلاثة فرد الله سبحانه وتعالى على هذا الإفتراء فقال تعالى [لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم][1] .

وقال تعالى أيضاً [لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم][2] .

فقد بين الله فى هذه الآيات لحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك وإن إختلفت طرق الشرك فالشرك هو أن يتخذ مع الله معبوداً بل إن عابد الوثن

---

(١) سورة المائدة آية ٧٢ .
(٢) سورة المائدة آية ٧٣ .

أخف كفراً من النصرانى لأنه لا يعتقد أن الوثن خالق العالم والنصرانى يقول بالحلول والاتحاد وهذا كله كذب وبهتان لأن الله تبارك وتعالى سيسأل عبده ورسوله عيسى يوم القيامة .

فقال تعالى [وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس إتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد](١)

بعد هذا البيان الشافى الكافى يتبين لنا أن سيدنا عيسى عليه السلام برىء من كل هذه الافتراءات والادعاءات الآثمة وأنه لم يقل لهم إلا [إعبدوا الله ربى وربكم] وبنسخ رسالة سيدنا عيسى عليه السلام بظهور خاتم الأنبياء وبعثته ﷺ يقول الله فى هذا الشأن قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون] (٢) .

بهذه الآية الشريفة يظهر لنا أن سيدنا محمد ﷺ مبعوث إلى كل من على وجه الأرض إنسها وجنها أبيضها وأسودها قال تعالى [وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون] فلا يقبل الله من أحد بعد بعثة نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلا متابعة خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) سورة المائدة آية ١١٧ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨ .

قال تعالى ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين] (١) .

أى من سلك طريقاً سوى ماشرعه الله فلن يقبل منه كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال :[والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار] رواه مسلم وعن أنس رضى الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبى ﷺ وضوءه ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبى ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبى ﷺ يافلان قل لا إله إلا الله فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبى ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه أطع أبا القاسم فقال الغلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فخرج النبى ﷺ وهو يقول الحمد لله الذى أخرجه من النار] رواه البخارى فى صحيحه .

بهذه النصوص يتبين أن الله لا يقبل من أحد إلا الإسلام الذى ارتضاه لعباده قال رسول الله ﷺ [ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا] والإيمان بالله اعتقاد يسكن القلب فيظهر أثره على الجوارح وفى السلوك وفى الأخلاق والإيمان بالله علاقة بين العبد ومولاه وصلة بين الإنسان وخالقه والإيمان نعمة ومنة من الله والإيمان كما قال القرآن تجارة منجية رابحة والإيمان حب الله وحب رسوله وإذا أحببت من تؤمن به أطعته والإيمان بالله إتجاه دائم إلى الله اتجاه بالقلب والروح والكيان كله ومن اتجه إلى الله كان الله معه ومعه كل شىء وأشرف من على ظهر الأرض والإنسان قال تعالى [ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] (١) .

وأشرف ما فى الإنسان القلب ألا وأن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وأشرف ما فى القلب الإيمان فالإيمان بكتابه ووحيه وهديه ونوره وفرقانه والإيمان برسوله والإيمان بشريعته الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان فالإيمان بكل هذه المفاهيم وماتحمل هو دين الله الذى إرتضاه لعباده قال تعالى:[اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا](٢) .

فالإسلام هو الدين الذى نزل على أنبياء الله بواسطة جبريل الأمين من آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد ﷺ فمن أهتدى وحافظ على العهد والميثاق الأول وعمل بمقتضاه دخل الجنة ومن حاد عن السبيل واتبع هواه فلا يلومن إلا نفسه هدانا الله وإياكم سبيل الرشاد .

على فتحى العوضى موافى

المعيد بقسم التفسير

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٠ .

(٢) سورة المائدة آية ٣ .